جمهورية مصر العربية	١٣ جمادى الأولى ١٤٤٣هـ
وزارة الأوقاف	١٧ ديسمبر ٢٠٢١م

(١)

لغة القرآن والحفاظ على الهوية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن اللغة هي الوعاء الحامل للمعاني والثقافات، وهي أحد أهم عوامل تشكيل الهوية، والتأثير في بناء الشخصية، فمن يتكلم لغتين يجمع ثقافتين، ومن يتحدث ثلاث لغات يجمع ثلاث ثقافات، ويقرأ نتاج عقول كثيرة، غير أن لغة الإنسان الأم تظل أحد أهم العوامل في تشكيل ثقافته، فالذي لا يدرك أسرار لغته لا يمكن أن يدرك كُنه ثقافة قوم ولا أن يسبر أغوارها.

وللغة العربية خصوصية بالغة، فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وكانت المعجزةُ الكبرى لنبينا (صلى الله عليه وسلم) هي القرآن الكريم ببيانه وأسراره اللغوية والبيانية، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، ويقول سبحانه: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، ويقول (عز وجل): {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}، ويقول تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ}، ويقول سبحانه: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}، ويقول سبحانه: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ}.

وقد ربط القرآن الكريم بين اللسان العربي وإعمال العقل، فقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، فتفاعل المسلمون مع القرآن، فأعملوا عقولهم، وأنتجوا

حضارة لا تُنكَر، كما ربط الله بين اللغة العربية والدعوة إلى العلم، فقال تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، حاثًّا بذلك على طلب العلم داعيًا إلى تحقيق التقوى، حيث يقول سبحانه: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}.

ولا ينكر أحد أنه لا يمكن أن نفهم ديننا فهمًا صحيحًا، ولا أن نستقي أحكامه من كتاب ربنا (عز وجل) وسنة نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلا بفهم لغتنا العربية فهمًا دقيقًا، فاللغة هي مفتاح التفقه في الدين، حيث يقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): كنت لا أدري ما معنى {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بِئْرٍ، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أَيْ: أنا ابتدَأتُها، بل إن الأصوليين والفقهاء وغيرهم عدوا التمكن في اللغة العربية وأدواتها أحد أهم شروط الاجتهاد، ولله در حافظ إبراهيم حين يتحدث بلسان لغتنا العربية:

وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظًا وَغايَةً * وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ* وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ * فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

كما لا ينكر أحد أن عدم المعرفة باللغة العربية ودلالتها، وعدم التعمق في فهم النص ومعرفة ما يتعلق به، والاقتصار في العمل على الأخذ بظاهره دون معرفة دقائقه وأسراره يوقع في خطأ جسيم، وقد يصل الحال بصاحبه إلى الفهم الخاطئ الذي يؤدي إلى استباحة الدماء؛ ولذلك فإن فهم الكتاب والسنة فرض واجب، وهو لا يتم إلا بتعلم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: تعلموا العربية فإنها من دينكم، ومرَّ (رضي الله عنه)

على قوم يتعلمون الرمي فيخطئون، فلامهم على ذلك، فقالوا: "إنا قوم متعلمين" بنصب ما حقه الرفع، فقال (رضي الله عنه): لخطؤكم في لسانكم أشد عليَّ من خطئكم في رميكم، ويقول عبد الملك بن مروان (رحمه الله): أصلحوا ألسنتكم، فإن المرء تنوبه النائبة فيستعير الثوب والدابة، ولا يمكنه أن يستعير اللسان، وجمال الرجل فصاحته.

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

لا شك أن لغة القرآن تجمع تراث الأمة وتحفظه، وتستوعب مقومات الفكر والثقافة على مر التاريخ، وتضمن لفكر الأمة البقاء والخلود؛ وأن وجود الأمم مرتبط بوجود لغتها؛ فالأمم التي انقرضت لغتها زالت من الوجود وتماهت في ثقافة غيرها من الأمم، لذلك فإن الاهتمام باللغة يعد مؤشرًا من مؤشرات الاهتمام بالهوية والمحافظة عليها، فاللغة هي المعبرة عن وحدة الصف، ووحدة الهدف، ووحدة الفكر، كما أن اللغة هي الوعاء الثقافي الأهم لأي أمة أو ثقافة.

فما أحوجنا إلى اليقظة والمقاومة لكل محاولات تذويب الهوية، والعمل الجاد على تقوية مناعتنا الحضارية في مواجهة موجات التجريف العاتية، من خلال الاحتفاء بلغة القرآن والعناية بها، فهي مفتاح هويتنا، والاعتزاز بها اعتزاز بالهوية، وخدمتها خدمة للدين وللوطن.

اللهم احفظ مصر من كل سوء وسائر بلاد العالمين